"لمع الأدلة في أصول النحو" لابن الأنباري(513 ـ 577هـ)

I. التعريف بالكاتب:

1. مولده ونشأته العلمية:

هو أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء الأنباري. المولود بالأنبار سنة (513 هـ). ثم غادرها وهو صبي إلى بغداد. درس العلوم اللغوية والنحوية والدينية على علماء عصره حيث قرأ الفقه على سعيد الرزاز (539 هـ)، واللغة والأدب على أبي منصور الجواليقي(539 هـ) وقرا النحو على ابن الشجري (542 هـ)، وسمع ابن الأنبار من أبيه، وبغداد من عبد الوهاب الأنماطي (538 هـ). تلقى اللغة والنحو والأدب في المدرسة النظامية. فتبحر في هذه العلوم وصار بعدها مدرسا فيها، حيث درس مصنفات من سبقه إلى تلاميذه ببغداد. انقطع في آخر عمره في بيته مشتغلا بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسه أهلها يتردد عليه طلاب العلم. توفي سنة (577 هـ) ببغداد.[1]

عاش ابن الأنباري في القرن السادس الهـ، وهو عصر ازدهرت فيه العلوم ونشطت فيه الحياه العلمية وحركه التأليف والتعميم اللغة والنحو والأدب أمثال الزمخشري(538هـ). وأبي البقاء العكبري (616هـ) وغيرهما. جمع ابن الأنباري بين العلوم المختلفة والعبادة والأخلاق والزهد والصلاح.[2]

2. مؤلفاته:

شارفت مؤلفات ابن الأنباري الثمانين كتابا منها الإغراب في جدل الإعراب نزهه الألباء في طبقات الأدباء، الأضداد، تاريخ الأنبار، هداية الذاهب في معرفه المذاهب، الوجيز في التصريف، غريب إعراب القرآن، حليه العقود في الفرق بين المقصور والممدود، زينه الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، خمسه الطالب في شرح خطبه أدب الكاتب ، تفسير غريب المقامات الحريرية ، شرح ديوان المتنبي، الموجز في القوافي، الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم، نكت المجالس في الوعظ، أصول الفصول في التصوف.[3]

ومنه تظهر كثرة مؤلفاته وتنوعها الكبير، فقد الف في الفقه وأصوله، والعقيدة والتصوف، واللغة والنحو والصرف والأدب والعروس والبلاغة والتاريخ والسير وغيرها. يقول ابن الأثير عنه: وله تصانيف حسنة في النحو، وكان فقيها صالحا.[4]

---

1 ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس دار صادر، بيروت، 1900، 3/ 139 .

2 ينظر: جدل الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية 1971، ص 5.

3 السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا لبنان، 2/ 87 .

4 ابن الأثير الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1997، 9/ 457.

انصرف ابن الأنباري بعد تخرجه وبعد روايته الكثير من كتب الأدب إلى التعليم والتأليف، فاشتغل معيدا في المدرسة النظامية لماده فقه الشافعية على ما يظهر، وأستاذ المادة كان شيخه ابن الرزاز، وبقي على ذلك حتى صار مدرسا فيها لعلم العربية، وكانت هذه الحقبة من اخصب الحقب إنتاجا في حياته، إذ ألّف فيها لكبار المشتغلين عليه كتابا من أعظم الكتب في العربية وهو "الإنصاف في مسائل الخلاف"، كان يذكره أبدا بالخير.

II. التعريف بالكتاب:

1. عنوانه:

لمعُ، جمع لُمْعَة من لمع الشيء والبرق، برق وأضاء. واللمعةُ البقعة من السواد خاصة، وقيل: هي كل لون خالف لونا، وقيل: هي التي في سوادها نقط بيض أو حمر. فلمع تحمل معاني البريق واللمعان والإضاءة والتميّز.

أما أصول النحو فيعرفها السيوطي بانها "علم يُبْحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية،من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها وحال المستدل".

وأدلة النحو الغالبة هي السماع والإجماع والقياس، ومنهم من أضاف إليها الاستصحاب .

وأول من تكلم وألّف في مفهوم أصول النحو دون مصطلحاته، هو ابن جني في كتابه الخصائص، أما أول من استعمل المصطلح دون مضمونه فهو أبو بكر بن السراج (316 هـ) في كتابه أصول النحو. ولعل أول من جمع بين المصطلح والمضمون هو ابن الأنباري (577هـ) في كتابه "لمع الأدلة في أصول النحو" .

2. فنونه:

هناك مؤهلات توفرت في ابن الأنباري فقام بما كان له وحده، وسجل في تاريخ العربيه أوليات ثلاثا حين أسسها الفنون الثلاثة الآتية لأول مره:

أ- فن جدل الإغراب، وضع لها وضع له كتاب الإغراب الذي قال في مقدمته: وبعد فان جماعة من الأصحاب اقتضوني بعد تلخيص كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" تلخيص كتاب في جدل الإعراب معرى عن الإسهاب، مجرد عن الإطناب، ليكون أول ما صنف لهذه الصناعة في قوانين الجدل والآداب، ليسلكوا به المجادلة والمحاورة، عند المناظرة". ولم يكن للعربية في هذا الفن كتاب قبل كتاب ابن الأنباري.

ب- فن الخلاف كانت مسائله مبعثره، بل كانت متعلقات المسألة الواحدة مشتتة في كتب البصريين والكوفيين، لكن أكثر هذه الكتب ردود جزئيه وأول من بدأ بذلك ثعلب، فلما ألف ابن الأنباري كتابه" الإنصاف" صار لهذا الفن كتاب مسجل يسعف الدارسين لأول مره بما يريدون. وقد كان هؤلاء وقد كان هو معتزا وهو

يشير إلى هذه الأولية بقوله في مقدمه الإنصاف: وبعد، فان جماعه من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفقهين سألوني أن الخص لهم كتابا لطيفا يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحو البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب، وألف على هذا الأسلوب؛ لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا ألّف عليه أحد من الخلف.

ج- فن أصول للنحو، على غرار فن الأصول للفقه، وقد وضع له كتاب" لمع الأدلة"، الرسالة الثانية مع كتاب الإغراب في جدل الإعراب.[1]

3. دواعي تأليفه:

قال ابن الأنباري في مقدمة كتابه: وبعد، فإن جماعة من الأصحاب اقتضوني بعد تلخيص كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" تلخيص كتاب في جدل الإعراب معرى عن الإسهاب، مجرد عن الإطناب، ليكون أول ما صنف لهذه الصناعة في قوانين الجدل والآداب، ليسلكوا به عند المجادلة والمحاولة،، والمناظرة سبيل الحق والصواب، ويتأدبوا به عند المحاورة، والمذاكرة عند المناكرة والمضاجرة في الخطاب، فأجبتهم على وفق طلبتهم طلبا للثواب، وفصلته اثني عشر فصلا على غاية من الاختصار تقريبا على الطلاب، فالله تعالى ينفع به إنه كريم وهاب ".[2]

4. منهجه:

أ- انتهج في كتابه منهج علماء أصول الفقه وطريقتهم في التحليل والمعالجة نقطه ويظهر ذلك في أن تقسيم الكتاب يشبه تقسيم الفقهاء لأصول الفقه والألفاظ والمصطلحات التي استعملها نقطه

ب- نقل إلى أصول النحو جميع المصطلحات التي استخدمها الفقهاء في أصولهم حتى أن قارئه يشعر انه يقرا كتابا من كتب الفقه، وأنه أمام فقيه لا نحوي أو لغوي مدقق.

ج- التزام المنهجية العلمية، فهو يشرح أهدافه في مقدمه الكتاب ثم يحدد منهجه فيه.

د- الإيجاز والتركيز والأسلوب الجدلي وإخضاع اللغة إلى العقل وموازينه، فقد اعتدّ بالقياس اعتدادا فاق من قبله من النحاة[3]

5. مصادره:

رغم أن ابن الأنباري لم يصرح بالمصادر التي استقى منها ألا أنها تظهر في مواطن كثيره من الكتاب:

---

1 ابن الأنباري، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، د.ط، م1957، ص:20 – 21.

2 المصدر نفسه، ص 35.

3 ينظر: محمد الصالح سالم، أصول النحو دراسة في فكر ابن الأنباري، دار السلام، الطبعة الأولى، 2006، ص 126.

أ- إفادته الواضحة من خصائص ابن الجني، فالتشابه بينهما واضح في مباحث القواعد العامة الأصولية وخاصة الموضوعات المتعلقة بالسماع والعله.

ب- الأخذ الواضح عن الأصوليين والفقهاء، واقتباس كل ما ذكره عن النقل والقياس والاستحسان واستصحاب الحال من كتب الفقه والأصول.

ج- الأثر البارز لكتاب المنخول لابي حامد الغزالي.

د- الآراء المختلفة لعلماء النحو، وكلام العرب والقرآن الكريم وغيرها. [1]

6. قيمته:

كتاب مع الأنباري من الكتب الرائدة في مجال أصول النحو، وله دور كبير في تعميق هذا العلم، فاذا كان أول من استعمل هذا المصطلح هو أبو بكر بن السراج (316 هـ)في كتابه أصول النحو، وقصد به قواعد النحو المتداولة، فان أول من سبق إلى تسميته أصول النحو بهذا المفهوم هو ابن الأنباري في كتابه "لمع الأدلة". ولعله أول العلماء الذين درس أصول النحو على نسق أصول الفقه، بحيث يبين بالأدلة والحجج ما يقوله، إضافة إلى أنه أدّب النحو نتيجة أسلوبه الجذاب. يقول ابن جني (392هـ) في مقدمة الخصائص: ...وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه. فأما كتاب أصول أبي بكر بن السراج فلم يلمّ فيه بما نحن عليه، إلا حرفا أو حرفين في أوله.[2]

ويعتبر ابن الأنباري خاتمة أئمة النحو في المشرق قبل انتقال المدرسة الأندلسية إليه عن طريق ابن مالك وأبي حيان وقبل ظهور ابن يعيش وأمثاله.[3]

فقد أثّر في من بعده كالسيوطي؛ إذ نسج هذا الأخير على منوال ابن الأنباري، ونقل منه الكثير، يقول سعيد الأفغاني: وجدت... أن السيوطي نقل من فصول "لمع الأدلة" أكثر من نصف الكتاب، نحوا من ثمانية عشر فصلا عازيا إلى ابن الأنباري،كما أشار في مقدمته مع تصرف يسير آونة واختصارا خفيفا أخرى، ومحافظا على الأصل مرات كثيره. ونقل منه ثلاثة فصول كذلك إلى كتابه المزهر.[4]

1 ينظر: محاضرات في أصول النحو، دون دار نشر، الطبعة الأولى، 2006، ص 44.

2 ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ، 1986، ص 1.

3 ينظر: محمد المختار ولد اباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، مرجع سابق، ص 210.

4 ابن الأنبار، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة تحقيق سعيد الأفغاني مقدمة التحقيق، مطبعة الجامعة السورية، 1957، ص 74.